

الفصل السادس والعشرون

[خيانة]

عندما وصلنا لأول وأقرب المناجم وهو المنجم الذي عملنا فيه سابقاً، فوجئنا بالهدوء العارم في الموقع، وهو منظر غريب لم نعهده في وضح النهار.. والمنظر الآخر الذي صدمنا هو رؤية بعض الحراس الذين لا يتجاوز عددهم العشرون يجلسون أرضاً بجراح وضربات مختلفة.. يبدو أنهم قد تعرضوا لعنف كبير من السجناء.. وإن كان الأمر لا يتعدى ذلك لحسن الحظ..

بدا الحراس مندهشون من منظرنا بعد خروجنا من الغابة ورأيت أكثر من واحد منهم يتحفز ممسكاً بسلاحه.. لكن خالد، وأمجد يتبعه، قد اقترب منهم وسألهم عما جرى في المنجم.. ثم بدأ يخبرهم بكل ما جرى ويجري من إداريي المؤسسة، وبكل ما يتبع ذلك من عواقب، وطلب منهم مساندتنا في المرحلة القادمة..

تلقت حولي بعدما علمت برحيل السجناء، فلاحظت أنهم قد تقدموا مسافة بعيدة باتجاه المباني الإدارية.. كانوا يبدوون لعيني بوضوح مع عددهم الكبير، فالتفت لأدهم الواقف قربي قائلة "ماذا نفعل الآن؟ لن ترتدع المؤسسة في منعهم من دخول موقعها حتى لو قتلوا عدة أشخاص منهم.. فكيف نمنع ذلك؟"

سمعت خالد الذي اقترب يقول لي "سأذهب للحديث معهم وأحاول إقناعهم بعدم جدوى اقتحام المباني الإدارية.."

قلت مقطبة "وتظنهم سيستمعون لصوت العقل؟ أنت واهم"

قال خالد مبتسماً "لا ضير من المحاولة"

أصابني تعجب كبير منه.. إنه يمتلك ثقة مطلقة تجعلني أندesh من منطقه.. لكن ليس بيدنا الآن إلا أن نطيعه بصمت..

رأينا مركبة تقترب منا من مباني الإدارة بعد أن تجاوزت السجناء دون أن تتعرض لهم، فتהלل لها وجه الحراس خلفنا وهم يظنون الإدارة قد أرسلت من يساعدهم بينما توجسنا نحن وعدد من الحراس يبدوون فيها من على مبعدة.. لكن مع اقترابها تمكنت من رؤية وليد ورفاقه في المركبة وقد توقفوا قريباً منا ووليد يسرع للهبوط منها مقترباً منا بينما اتجه بقية الحراس لرفاقهم في المنجم ليتفقدوا أحوالهم ويعينوهم.. اقترب وليد من خالد قائلاً "ما الذي جرى هنا؟ أهؤلاء هم كل السجناء الذين يعملون في هذا المنجم؟"

أجاب خالد "أجل.. إنهم ينوون اقتحام المباني الإدارية.. وأظنهم ينتوون شق طريقهم للسفينة الفضائية"

قال وليد باستنكار "هذا جنون.. المؤسسة لن تتردد في استخدام العنف لمنعهم من ذلك" سألته خالد "ماذا فعلت فيما طلبته منك؟"

أجاب وليد "لقد نفذنا ما طلبته بنجاح.. ولقد أثار هذا بلبلة في المباني الإدارية" قال خالد "جيد.. لن يطول الوقت بالإداريين قبل أن يدركوا أن حالهم هنا يسير من سيء لأسوأ، خاصة مع الثورة المحدودة التي هي بداية ثورة السجناء على الكويكب.. ربما عندها قد يرضخون لمطالبنا"

سألت وليد "كيف هربت منهم إذاً وحصلت على هذه المركبة؟" أجاب وليد مبتسماً "فعلت ذات ما فعله إدوارد من قبل.. حطمت السور مرة أخرى بهذه المركبة" فسأله أمجد "وما الذي نفذته في المباني الإدارية؟"

قال خالد وهو يراقب السجناء "لقد طلبت منه تفجير مخزون الإدارة من عقار آريا" نظرنا له مصعوقين، فكان أول من تحدث هو أدهم الذي هتف "لماذا؟ هذا قرار خطير.. خططك تزداد حماقة بمرور الوقت وتجعلني أشك في ذكائك.."

نظر له خالد وقال بهدوء "أخبرتني أنني سأجبر الإدارة على الرضوخ.."

قطبت وأنا أفكر بعواقب كل ما يجري، بينما اقترب منا أحد الحراس قائلاً "الحراس هنا يحاولون الاتصال بالإدارة.. يريدون إمدادات أكثر ليتمكنوا من احتواء الثورة قبل وصولها للمباني الإدارية" سألته خالد "وبم أجاب القائد؟"

أجاب الحارس بتعجب "لقد حادثهم القائد سابقاً وأمرهم بإرهاب السجناء حتى لو اضطروا لقتل بعضهم.."

لم يكن هذا مستغرباً من الإدارة حقاً، وقد أضاف الحارس "أما الآن فهم لا يتلقون أي استجابة.. لقد حاولوا الاتصال بقائد الحراس باستخدام قناة خاصة، والآن يستخدمون القناة العامة أملاً في استجابة أحد مساعديه"

تساءلت "أتظنون أمراً ما قد حلّ في الإدارة؟ صمتهم هذا مريب" غمغم وليد وهو يحك فكه "لست أدري.. الأمور ليست مطمئنة تماماً.. رغم أننا غادرناهم منذ أقل من ساعة.."

فقال خالد "خذونا لموقع السجناء بالمركبة.. يجب أن نوقف تقدمهم قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه.."

توزعنا على مركبتين، إحداهما التي أتى بها وليد والأخرى كانت واقفة في جانب المنجم.. وقد رافقنا

بعض الحراس من المنجم بينما بقي البعض للعناية برفاقهم ممن أصيبوا قبل قدومنا..

قاد وليد المركبة بسرعة باتجاه الجموع التي تتقدم بشكل حثيث باتجاه المباني الإدارية وقال "لا

أنصح بالاقتراب منهم كثيراً.. إنهم مستعدون لفعل أي شيء لتحقيق هدفهم الآن"

غمغم خالد "أعلم ذلك.."

عندما تجاوزت المركبة الجموع المندھشة واعترضت طريقهم تتبعها المركبة الأخرى، أسرع خالد يهبط

من المركبة برفقة الآخرين وكل منهم متحفز بسلاحه مع مرأى الوجوه التي تعلن شراستها بوضوح..

فتقدم خالد هاتفاً "أيها السجناء.. استمعوا إليّ.. لا داعي لهذا التهور فعواقبه لن تكون حميدة"

صاح أحد الرجال "ومن تكون أنت؟ إنك سجين مثلاً.. ألا تريد الخروج من هذا الكويكب؟"

قال خالد "بالطبع أريد.. لكنني لا أريد أن تسكب دماء في سبيل تحقيق ذلك.."

نظر السجناء لبعضهم البعض دون اقتناع، فتقدم أحد الحراس قائلاً "الإدارة قد طلبت من الحراس

استخدام أي وسيلة لإيقافكم.. ولا يهمها لو قتلنا منكم عدة أشخاص"

تزايد الغضب في صدور السجناء وأحدهم يقول "شيء متوقع.. هذا يدل على خسة أولئك الإداريين"

أسرع الحارس يقول بصوت عالٍ ليصل صوته للجميع "لكننا لم نفعل.. لا يريد أي حارس قتل أحد

السجناء لأي سبب.. ونحن مقتنعون أن الإدارة ترتكب الكثير من الأخطاء التي يجب أن تعاقب عليها..

لكن ليس بهذه الطريقة ذات العواقب الوخيمة.."

تقدم خالد خطوة وهو يهتف "أريد منكم مساعدتي.. أنا أسعى لإخراجكم من هنا بأسرع ما

نستطيع.. أريد إجبار المؤسسة على ترحيل السجناء من الكويكب كله وإعادتهم للأرض.. فهل

ستتصرفون بعنف ودون أي تقدير مع مخاطر ذلك؟ أم تعاونونني لنحقق ذلك بأقل الخسائر الممكنة"

رغم التردد الذي غزا الوجوه إلا أن بعض السجناء قد بدأ يصيح مستسخفاً الفكرة.. لاقى خالد عدة

اعتراضات من مجموعة كبيرة من السجناء، لكنه لم يفقد أعصابه وهو يحاول احتواء ثورتهم بهدوء..

ظللت صامته أتمل ما يجري.. رغم سروري بتمكن السجناء من نيل حريتهم، لكنني أتمنى ألا تحدث

فوضى في المكان وألا تسيل أي دماء هنا، ويبدو أن الإدارة عازمة على ذلك..

ورغم الأصوات العالية، إلا أن صوتاً أعلى وأكثر إزعاجاً قد هدر مسكناً الجميع والرؤوس تلتفت

باتجاه واحد.. نظرت للأعلى بدوري بدهشة وأنا أرى خيط الدخان الذي عبر السماء خلف السفينة

الفضائية التي أقلعت كالمعتاد.. لكن مهلاً.... لا يوجد أي اعتياد فيما جرى هنا.. السفينة قد وصلت

البارحة ولم يكن من المفترض أن تغادر قبل الغد.. وهي لا تغادر في مثل هذه الساعة من النهار بل

لها موعد لا تتأخر عنه كل يوم.. فما الذي جرى؟..

التفت تجاه وليد باستفهام فرأيت عيناه متسعتان وهو يهمس "الأوغاد.. هل فعلوها حقاً؟"

سألته بقلق "ماذا تعني؟"

لم يجبني وهو يندفع نحو المركبة المتوقفة جانباً، فتبعته بسرعة تاركة أمجد ينادينا.. يجب أن أفهم ما جرى، ولم تكن النظرة التي تبدت في عيني وليد مطمئنة البتة.. قفزنا في المركبة وسارع وليد بقيادتها عبر طريقها المعتاد عائداً نحو المباني الإدارية.. وخلال أقصر وقت تمكنا من اختصاره كنا ندلف من البوابة التي كانت، للدهشة، خالية من أي حراسة.. أوقف وليد المركبة فجأة وسط الساحة، فوقفنا في المركبة نتأمل ما حولنا.. كانت الفوضى تعم المكان تماماً.. الأغراض مبعثرة، والساحة خالية تماماً من أي بشر.. أبواب المباني مشرعة، حتى باب مبنى العزل كان فارغاً فاه بصمت رغم الصرخات التي تتسرب منه بضعف..

نظرت حولي متسائلة "ما الذي جرى؟"

قال وليد بغيظ "لقد فعلوها.. يبدو أنكم أحسنتم الظن بالمؤسسة أكثر مما تستحق"

سألته بتعجب "ماذا تعني؟"

لم يجبني وهو يغادر المركبة ويندفع نحو أقرب المباني إليه.. فتح الأبواب، وتفحص الغرف، وبحث في أرجاء المكان كله، وأنا خلفه أتأمل المكان وأتأمل تصرفاته بتعجب.. ثم سألته بتوجس "أين ذهب الجميع؟ لا تقل لي....."

قال وليد زافراً "رحلوا في تلك السفينة.."

قلت بذهول "جميعهم؟ لماذا؟ وماذا عن بقية الحراس؟ ماذا عن السجناء؟"

قال بحدة "نبذوهم.. تركوهم لمصيرهم.. أسرعوا ينقذون أعناقهم دون أن يعبؤوا بأي شخص آخر.."

قطبت أحاول ابتلاع تلك الصدمة، بينما أسرع وليد مغمغماً "هناك وسيلة وحيدة لمعرفة ما جرى حقاً"

أسرعت خلفه بصمت، فرأيت أنه يتجه لمبنى صغير قريب دلفه بدون عسر مع غياب الحراسة، واتجه لقاعة واسعة بها الكثير من الأجهزة والشاشات، فاقترب من أحد الأجهزة وتفحص جهازاً متوسط الحجم متصلاً بالبقية بعدد من التوصيلات، وتناوله قائلاً "هذا هو وسيلتنا لمعرفة كل ما يجري هنا.. أرجو فقط ألا....."

قاطعته وأنا أشير لصندوق آخر مثبت في زاوية الغرفة قائلة "وهذا ما عمله؟ إنه يصدر إشارة بشكل مستمر.."

نظر له قائلاً "ليس هذا مهماً.. إنه....."

قطع حديثه وعيناه تتسعان لمراى الصندوق.. كان أسود اللون لا يبدو عليه أي شيء، إلا شاشة صغيرة سوداء عليها أرقام بلون أحمر صارخ تبدو كعدّ تنازلي.. فسمعت وليد يقول من بين أنفاسه "إنها قنبلة.."

صدمت لقوله وأنا أرى العد التنازلي مستمراً.. ١٤.. ١٣.. ١٢..

فصاح وليد "أسرعي.."

لم أدر ما عليّ فعله، بينما تناول هو كرسيّاً وطوحه بقوة في النافذة القريبة منا، والتي تهشمت بعنف مع ارتطام الكرسي الذي سقط خارجاً.. فعاد وليد يصيح بي "اقفزي بسرعة.."

ركضت نحو النافذة التي كانت منخفضة وقفزت دون إبطاء رغم أنني استندت بيدي على إفريزها ذو الزجاج المتكسر.. وتبعني وليد خلال ثمانية قفز بسهولة ليستقر خارجاً على قدميه ويدفع بي أمامه ونحن نركض مبتعدين عن المبنى وعن المباني كلها..

٢.. ١.. ٠.....

وصمّ أذنيّنا انفجار قويّ هز المبنى خلفنا كله.. تتابعت معه عدة انفجارات في أجزاء متفرقة من المباني الإدارية.. ورغم أننا حاولنا الابتعاد عن مرمى الانفجار إلا أن قوته قد دفعتنا لنسقط أرضاً.. فور سقوطي ربضت بموقعي حامية رأسي بذراعيّ من الصخور والأخشاب المتطايرة، وشعرت بوليد يركع قبلي ويحميني بجسده رغم كثرة الحطام المتطاير وبعضه لم يكن صغير الحجم.. دام الانفجار والفوضى أبداً طويلة بالنسبة لنا لا لحظات معدودة كما حدث بالفعل.. ولما هدأ كل شيء، بعد الفوضى العارمة، اعتدلنا والتفتنا خلفنا لنرى مقدار الدمار الذي أصاب كل شيء.. كانت المباني الإدارية كلها دون استثناء قد تحطمت ولم يبق منها إلا بقايا جدران آيلة للسقوط، والنار بدأت تأكل ما تبقى منها.. نظرت لوليد بقلق وسألته "أنت بخير؟ ألم تصب بأذى؟"

نظر لي متسائلاً بدوره "وأنت؟ هل تأذيت؟"

نظرت ليدي التي جرحت بسبب الزجاج المتحطم، مغممة "عدا عن هذه الجروح، فأنا بخير.. شكراً لك لحمايتي.."

غمغم وهو يرفع يده بما تحمله "أتمنى فقط ألا نكون خسرنا ما جئنا لأجله.."

نظرت ليده فرأيت الجهاز الأسود الصغير وقد نزعه من توصيلاته قبل هربه كما يبدو.. وسمعته يضيف "هذا هو قرص خارجي يحتوي على كل المعلومات التي نحتاجها لنعرف ما جرى.. فهو يحتوي على كل تسجيلات أجهزة المراقبة في المباني الإدارية، وعلى مدار أسبوع واحد.. المعضلة الآن في وجود جهاز يمكننا من استخراج ما به من معلومات.."

نظرنا للدمار من حولنا بصمت.. من المستحيل أن نعثر على جهاز كمبيوتر بحالة سليمة.. ثم فوجئت بوليد يقفز واقفاً وهو يهتف "اللعة.. نسينا مبنى العزل.."

وجرى نحو المبنى الذي يقع في زاوية منعزلة من الساحة، وأنا خلفه متعجبة من ركضه.. لاحظت أثناء ذلك أن الانفجار لم يبخل على وليد بالإصابات.. إذا تناسينا الغبار والحجارة التي تركت آثار ضربها

على ظهر معطفه، فإن بعض الدماء كانت تبلل شعره من الخلف وتسيل على ياقة معطفه.. وهناك ضربة لا بأس بها على كتفه الأيمن وقد شقت ملابسه التي تلطخت بالدماء بدورها.. لكن وليد لم يبدُ عابئاً بكل ذلك وهو يقترب من مبنى العزل، الذي لحسن الحظ لم يكن قد لغم بأي قنابل فلم يلحقه دمار كثير إلا ببعض التهدم الذي أصاب جانبه.. لكن ما أفزعنا هو النيران التي اندلعت حيث تهاوت الجدران وبدأت تأكل الطابق السفلي منه.. كان المبنى مكوناً من طابقين بخلاف السفلي، ولست أعلم بالضبط كم من الغرف يضم بقلبه.. لكن بدا أن عدد السجناء الذين تركوا فيه ليس قليلاً.. فصرخاتهم التي تزايدت جعلتنا ندرك أن النيران قد طالت بعض الغرف في المبنى..

شعرت بذعر شديد وأنا أدرك أن السجناء في المبنى قد حبسوا كالفئران في جحرها، تحاصرهم النيران والأبواب المغلقة.. رأيت وليد يهرع لجهة من المبنى حيث رأيت خرطوماً للماء معلقاً على الحائط قام بفتحه وبلل ثيابه بالماء بسرعة.. فقلت له بدهشة "ما الذي ستفعله؟"

أجابني مقطباً "طبعاً سأذهب لأفتح الأبواب.. لا يمكن أن نتركهم ليموتوا اختناقاً أو حرقاً.."

قلت بذعر "لكن الطابق السفلي يحترق بشكل كامل.. وأنت مصاب.."

لم يعبأ بقولي وهو يرمي الخرطوم جانباً ويهرع للبوابة المفتوحة.. فقبضت ذراعه وأنا أهتف "مهلاً.. سآتي معك لأساعدك"

قال لي بسرعة "لا تفعل.. لن تستطيعي مساعدتي بشيء.."

قلت وأنا أزيد من تشبثي به "بل سأفعل.. أخشى ألا تتمكن من الفرار.. ماذا لو تهدم المبنى على

رأسك؟ بل كيف ستجد طريقك وسط هذا الدخان الكثيف؟"

فدفع يدي وهو يقول بحدة "وكيف ستساعديني لو حدث ذلك؟ أنا أحفظ هذا المبنى عن ظهر قلب، ولن يضرني هذا الدخان بشيء.. ابقني هنا ولا تزيدي أعبائي.."

ثم ناولني الجهاز الذي كان قد تركه جانباً وأضاف "سأعود.. ثقي بذلك"

واندفع للداخل بعد أن رفع معطفه المبلل ليغطي رأسه.. كان موقفه مستحيلاً، فالدخان الكثيف الذي يخرج من البوابة يعني أن الحريق متزايد ويلتهم جزءاً كبيراً من المكان.. فحتى لو تمكن من الدخول وإنقاذهم فكيف سيخرجون؟..

بعد لحظات طالت وأنا أسمع الصراخ المتعالي والذي تزايد الذعر والألم فيه، سمعت خلفي صوت مركبة تقف قريباً وأقدام كثيرة تهبط منها.. التفت للوراء لأجد أمجد وأدهم مع أربعة من الحراس يقتربون منا والذهول يعلو وجوههم، بينما اقترب مني أمجد وأمस्क ذراعي متسائلاً بقلق شديد "أنت بخير يا حمراء؟ ما الذي جرى لك؟ ما كان كل ذلك الانفجار؟ لقد شاهدناه من بعد بوضوح.."

قلت بتوتر "أنا بخير.. لكن وليد...."

سألني بقلق أكبر "ما به وليد؟ ما الذي جرى هنا؟"
أشرت للمبنى المحترق قائلة "اندفع لإنقاذ من بقي من السجناء في مبنى العزل قبل أن يحترق المبنى
بأكمله.."

وأضفت بتوتر شديد "لقد هرب الإداريون في السفينة التي أُلغيت قبل وقت قصير.. وقد تركوا لنا
قنابل موزعة في المباني الإدارية.. ولو تأخرنا في الهرب من المباني بلحظات لكنت أشلاؤنا ملقاة في
كل مكان.."

تزايد ضغط يديه على ذراعي وهو يتنهد قائلاً "الحمد لله على نجاتك.. لو أنك لم تذهبي معه..... لقد
أُقلقتني بشدة"

لمحت الضيق في صوته في اللحظة التي تردد فيها عن الحديث، لكنني قلت وأنا أنظر للمبنى المحترق
"المهم الآن أن نساعد ونؤكد من نجاته هو والآخرين.."

قال أحد الحراس وهو يرمي بسلاحه لآخر "سأحاول الدخول خلفه وإنقاذ من بقي من السجناء.."
واندفع بدوره ليغرق نفسه بالماء ليمنع النيران من أن تشب في ملابسه لأقصى وقت ممكن، وتبعه
حارس آخر بصمت.. لكن قبل أن يقتربا من البوابة، سمعنا صوت قرقرة قوية، قبل أن يتهاوى جزء
آخر من المبنى بقوة مثيراً غباراً على مسافة كبيرة أغشى أعيننا ونحن نسعل بقوة.. ولما هدأ كل شيء
نظرنا للحطام الذي تخلف عن ذلك الجزء وقلقنا يتزايد.. هل كان وليد قريباً من ذلك المكان؟ هل أصيب
أحد السجناء ممن بقوا هناك؟.. كان الحطام قد سدّ مدخل المبنى تماماً، والنيران تآكل أي جزء ظاهر
من المبنى مما جعل من العسير على الحراس أن يدلفوا من أي بقعة منه..

تساءل أدهم "كيف سيقدر وليد ومن معه على الخروج الآن؟"

نظرت للمبنى الذي لم يكن يحوي على نوافذ من أي نوع.. بدا الموقف يائساً تماماً، وشعرت بضيق
وقلق شديدين وأنا أدعو الله أن ينجو وليد والبقية من هذا المبنى.. وبعد مدة طالت، ونحن لا نسمع إلا
صوت النيران وهي تلتهم كل ما تقع عليه، تناهى لسمعنا صوت صراخ صادر من جانب المبنى..
اندفعنا لذلك الجانب، فرأينا في أعلى طابق، عند نافذة صغيرة يبدو أنها تطل على الممر الواقع بين
الغرف، رأينا عدة وجوه تبدو من النافذة وبعض السجناء ينظرون للأسفل بحثاً عن وسيلة للهرب.. فقال
أدهم "يجب أن يقفزوا.."

قال أمجد مقطباً "لن ينجوا من الكسور التي قد تكون مميتة.."

تلفتنا حولنا بحثاً عما يمكن أن نضعه في الأسفل لنخفف سقوطهم، فلم نجد أي شيء في الحطام
من حولنا.. ثم شاهدت أدهم يندفع فجأة نحو كومة من الصناديق التي سقطت جانباً ومحتوياتها من
المعدات قد تبعثرت أرضاً.. فتناول الغطاء الغليظ الذي كان يغطي الصناديق تلك، وجلبه حيث وقف

بقية الحراس قائلاً "لنحمله ونفرده تحت تلك النافذة.. بهذا يمكننا أن نخفف من سقوطهم.."

تعاون الحراس الأربعة مع أدهم وأمجد بحمل الغطاء الذي كان لحسن الحظ كبيراً، وفردوه وهم يقفون قريباً من المبنى تحت النافذة.. وهتف أدهم للسجناء بالأعلى "اقفروا واحداً تلو الآخر.."

بدا التردد على الوجوه، لكن أحدهم دفع الآخرين ووقف على إفريز النافذة، ثم رمى بنفسه من ذلك الارتفاع دون تردد ليهوي خلال ثوانٍ أرضاً فتلقاه الرجال بالغطاء الذي انثنى بقوة تحت ثقل سقوطه، قبل أن يخفضوا الغطاء والرجل يقف أرضاً ويبتعد وهو يسعل من أثر الدخان ويقول "ما الذي جرى هنا؟ من الذي قام بتفجير المباني تلك؟"

لم يجبه أحدهم بكلمة وهم يستعدون لاستقبال سجين آخر، بينما وقفت أنا متحفزة وقد قاموا بتوليتي أسلحة الحراس خشية أن يحاول أحد السجناء الاستيلاء عليها مني..

تتابع السجناء من رجال ونساء في الهبوط دون أن يصاب أحدهم لحسن الحظ، عدا رجلين بدا أن الحريق قد وصل غرفهما وقد أصيبا بحروق متفرقة في أجسادهما دون أن تكون خطيرة.. وأخيراً قفز وليد الذي كان آخرهم ليهبط أرضاً بسلام ويقف وهو يسعل بقوة..

عندها قمت بتسليم الأسلحة التي أملكها للحراس قبل أن أقرب من وليد بقلق.. كانت ملابسه قد اسود لونها من الدخان والحريق دون أن يبدو أن النار قد أصابته، وعيناه محمرتان دامعتان من أثر الدخان القوي الذي تعرض له.. فسألته "أنت بخير؟"

هز رأسه إيجاباً وهو عاجز عن إيقاف السعال.. وسمعت أحد الحراس يسأله "هؤلاء هم كل السجناء؟"

قال وليد بعد أن تمكن من تمالك نفسه "هؤلاء هم من تمكنت من إنقاذهم.."

اتسعت عيناى بذهول والحارس يسأله "والبقية؟ ماذا حدث لهم؟"

هز وليد رأسه مجيباً "قضى عليهم الانفجار.. بالإضافة إلى التهدم الأخير الذي أصاب ذلك الجانب من المبنى.."

أصابنا الوجوم لتلك الأخبار وضيقى يتزايد من كل ما أراه.. لماذا فعل الإداريون ذلك حقاً؟ كيف تخلوا عن الجميع بهذه الطريقة؟ ولماذا يسعون لتدمير المباني قبل رحيلهم؟..

تعالى تدمر السجناء ومطالباتهم بتفسير لكل ما جرى.. فتولى ذلك أحد الحراس بينما قلت أنا لوليد "يجب أن تعالج جرح رأسك قبل أن يتفاقم أمره.."

وضع وليد يده على مؤخرة رأسه حيث الجرح لا يزال ينزف وقال "إنه جرح سطحي ليس إلا.. المهم الآن ما سنفعله.. ما حدث هنا سيعرتب عليه أمور كثيرة ودمار كبير في الكويكب.. فلا يجب أن نستهن بكل ذلك"

سأله أمجد مقطباً "ماذا تعني؟"

سمعنا صوت خطوات راکضة خلفنا، ولما التفتنا رأينا ذلك الحارس الذي كان مسجوناً في مخبئنا، وقد اجتاز بوابة المباني الإدارية وهو ينظر للخراب من حوله بعينين متسعيتين.. قبل أن يصيح بصدمة "لا.. مستحيل.. ما الذي جرى هنا؟ أين الجميع؟"

وأسرع إلينا ليهتف بوليد "ما الذي فعلتموه؟ أين قائد الحراس والبقية؟ هل...؟"

قاطععه وليد وهو يفك قيد يديه "اهداً.. لقد رحل الجميع"

تزايدت صدمة إيريك وهو يصيح "كذب.. لقد وعدني القائد بترقية.. وعدني أن وضعي سيصبح أفضل بعد أن أقودهم إليكم.. كيف يمكنه فعل ذلك؟.."

قال وليد بصرامة "كفي تعلم أنهم خونة.. لم يهتموا بك، وبأي ممن هم على هذا الكويكب.. لقد رحلوا وتركوك لمصيرك.. فهل تنوي معارضتنا أم تضع يدك في أيدينا لننجو من هذا المصير؟"

ظل إيريك ينظر إليه مبهوتاً والصدمة تكاد تفقده وعيه، بينما اقترب حارس آخر وهو يقول "ما الذي سنفعله الآن بهؤلاء السجناء؟"

تنهد وليد قائلاً "علينا أن ننقلهم للمساكن القريبة ونتأكد من أنهم لن يهربوا.. لا نريد أن نضيع وقتنا في البحث عن كل هارب هنا.. ما الذي حدث مع خالد والسجناء؟"

أجاب الحارس "لم يستطع السيطرة عليهم مع حدوث الانفجار.. إنهم قادمون إلى هنا، وغضبهم سيكون عارماً"

قال وليد بحق "لهذا كنت معارضاً لتحطيم جهاز التحكم بالأساور.. سيفلت الوضع من أيدينا مع مغيب الإداريين فلا سلطة لنا على السجناء الآن"

صمتنا دون تعليق ونحن نفكر في ما علينا فعله منذ الآن.. ولم يكن من السهل تقرير ذلك..

استسلم وليد لي وأنا أضمد رأسه بعد أن طهرت الجرح الذي كان كما قال سطحياً.. كنا قد عثرنا على حقيبة إسعافات أولية في حطام المباني، ولحسن الحظ كانت مبطنة جيداً فلم تتحطم زجاجات الأدوية بداخلها.. وقربنا جلس أمجد مقطباً، وأدهم وبسمة إلى جواره.. كان الهدوء يعم المكان بعد أن جلس السجناء جانباً وقربهم الحراس بصمت واستسلام تام..

قال أدهم محطماً الصمت "ماذا عنيت بأن دماراً كبيراً سيحل بالكويكب؟ أتعني ثورة السجناء؟"

قال وليد "ليس هذا فقط.. لقد هرب الجبناء تاركين الكل لمصيرهم.. أخذوا سفينة الفضاء الوحيدة

وهربوا مع أذناهم وتخلوا عن الجميع.."

تساءلت "ولم الحاجة للهرب بهذه السرعة؟ ألسبب هذه الثورة الصغيرة؟"

قال وليد نافياً "بل بسبب تفجيرنا لمخزونهم من العقار.. موعد جرعة الإداريين وبعض الحراس ستحين خلال يومين، ولن تأتي دفعة جديدة منها قبل أسبوع.. لذلك هم هربوا لإنقاذ أعناقهم وتركوا المذنب وغير المذنب يواجه الموت.."

قال أمجد "لم المبالغة؟ الموت كلمة كبيرة"

قال وليد بابتسامة ساخرة "أتظن ذلك؟ لا نملك مخزوناً كافياً من عقار أريا.. لو لم تكن تعلم فالسجناء يحقنون بذلك العقار بشكل دوري، ولا يتم ذلك في وقت واحد بل في أوقات متفرقة.. لذلك لا نعلم من ستظهر عليه أعراض انحسار العقار قبل الآخرين.. ثم إنهم حطموا جميع وسائل الاتصالات بخارج الكويكب.. وأشك أن يعلم العالم الخارجي بشيء مما جرى هنا.. لا أشك أنهم ينتظرون موتنا جميعاً اختناقاً قبل العودة للسيطرة على المناجم"

صدمت لهذه الفكرة البشعة، بينما تساءل أمجد "ربما يعود الإداريون بعد فترة بسيطة بقوة أكبر للسيطرة على المناجم دون خسائر بشرية"

علق وليد "هذه عاقبتها أشد على الجميع.."

فتساءل أدهم "ولماذا دمروا المباني ماداموا يبنون العودة ولو بعد حين؟"

أجاب وليد "أولاً لتدمير كل شبكات الاتصال وعزلنا لئلا نستنجد بالخارج، ثانياً لتدمير كل دليل قد يكون موجوداً في ملفاتهم ضدهم.. ربما بعدما يحدث هنا، سواء أعادوا قريباً أم تركونا نواجه مصيرنا، فلا أشك أن يحضر أشخاص من مجلس الأمن الدولي وربما جمعيات حقوق الإنسان للتحقيق في ما حدث على الكويكب.. عندها يستطيع المسؤولون تليفك الأكاذيب دون الخشية من انكشاف أمرهم.. وربما ألقوا بتبعية هذه التفجيرات على السجناء.."

قال أمجد بضيق "هذا تصرف مبالغ فيه.."

علق وليد "هذا ما حدث بالفعل.."

قاطعت حديثهم قائلة "يجب أن تخلع معطفك.."

قال وليد "لماذا؟ ألم تنتهي من الجرح؟"

قلت مشيرة لجرح كتفه "لأعالج هذا الجرح.. أم أنك لا تهتم به؟"

نظر وليد بجانب عينه لجرح كتفه الذي أغرق ملابسه بالدماء، ثم غمغم "لم أدرك أنني مصاب هناك.."

قلت بغير تصديق "أنت تمزح.. أليس كذلك؟"

غمغم وليد "مع كل الضربات التي أصابت ظهري وقت الانفجار لم أظن أن الألم ناتج عن إصابة فيه"

فقلت بوجوم "من طلب منك أن تتظاهر بالبطولة وتحميني؟ كان يمكن أن تكون إصابتك مميتة" ضحك وليد بصوت عالٍ معلقاً "ظننت أنني يمكن أن أثير إعجابك بهذا.." ابتسمت لتعليقه بينما تبدى ضيق شديد في عيني أمجد، وقلت "وقد فشلت.. والآن اخلع معطفك لأتمكن من إنهاء عملي.."

قال معترضاً "اهتمي بجرح يدك أولاً.."

قفز أمجد واقفاً وأمسك يديّ يتفحصهما بقلق متسائلاً "ما بها يدك؟" أخرجني قلقه الظاهر فجذبت يدي وغمغمت "مجرد جرح بسيط.. سأعالجه بعد أن أفرغ من وليد.." فقال أمجد بضيق "دعي أمر وليد لي.. بعدها سأتولى أمر يدك...." تركتهما بصمت دون أن أعترض واتجهت لأدهم الذي ابتعد عنا منذ دقائق.. عندها قال أمجد لوليد بجفاء "اخلع ملابسك.."

ابتسم وليد بجانب فمه وهو يخلع معطفه ثم قميصه الذي بدأ يلتصق بالجرح بشكل آلم وهو ينزعه.. ثم تولى أمجد تطهير الجرح الذي كان على شيء من السوء.. وبعد لحظة صمت قال وليد بابتسامة "أنت مازلت تغار.."

قال أمجد بجفاء أشد "وما الداعي لمثل هذه الملاحظة الآن؟"

ضحك وليد مجيباً "بل ما الداعي لغيرتك في مثل هذه الأوقات؟ أتخشى مني عليها حقاً؟" كان أمجد قد انتهى من الجرح، فقام بربطه بضماد وشد عليه بقوة ألمت وليد أكثر وأمجد يقول "لقد حذرتك من الاقتراب منها.."

غمغم وليد متألماً وهو يرتدي ملابسه "تباً لك أيها الوغد.."

فقال أمجد ببرود "أنا أحذرك مرة أخرى.. ابتعد عنها.. أأنت أكبر من أن تفكر بفتاة مثلها؟" ضحك وليد بشكل دهش له أمجد، ثم ربت على كتفه قائلاً "أيها الأحمق.. أنا لست نداً لك ولم أفكر بها في يوم من الأيام.. فكف عن معاداتي بلا سبب مقنع.."

وابتعد تاركاً أمجد يقف مبلبل الفكر.. أيعني ما قاله حقاً أم أنه ينوي خداعه؟..

أما أنا، فقد اقتربت من أدهم الذي كان يقف قرب المركبة متسائلة "أين بسمة؟ هل بقيت مع خالد والحراس"

أجابني "لم نستطع إحضارها معنا فاهتمامنا كان منصّباً بالانفجار وما قد تكون عواقبه.. أظنن أنها قد تصاب بذعر وهي معه؟"

فقلت "لا أعلم.. لكن هذا متوقع.."

رأينا وليد يقترب، وخلفه أمجد حاملاً حقيبة الإسعافات الأولية.. وقد قال وليد "أريد فحص هذه المبانى

أَمْلاً في العثور على ما يمكننا الاستفادة منه.. هل تعاونونني؟"
 وافقنا كلنا على ذلك، ثم قال أُمجد "دعيني أعالج جرحك أولاً يا حمراء"
 سلمته يدي فقام بتطهيرها بعد أن تأكد من عدم وجود بقايا زجاج فيها ثم ضمدها جيداً.. انشغلنا
 بعدها في تفحص الحطام المتفحم ورائحة الدخان تكاد تخنقنا دون أن نستطيع التذمر من ذلك..

لم يمض وقت طويل على بقائنا في الساحة حتى سمعنا صياحاً خلفنا، فنظرنا لموقعه لنجد السجناء
 قد وصلوا للمباني الإدارية وبعضهم يركض وسط الساحة يتفقد المباني، بينما وقف الرجل الذي يبدو
 شرس المنظر بالساق المجروحة وهو يصيح بمن حوله "لقد هرب الجبناء وتركونا هنا نواجه مصيرنا..
 لطالما عاملونا كالحيوانات.. وحتى الآن نبذونا بلا اهتمام.. يجب أن نحدد مصيرنا بأنفسنا، ولا نسمح
 لأحد بالتحكم بنا أكثر من هذا"

قال خالد الذي تبعهم بصوت عالٍ "وما الذي تنتوون فعله؟ هل ستهيمون في الكويكب دون هدف
 محدد؟"

قال الرجل بحدة "لا شأن لك.. أنت معهم بالتأكيد.. لقد حاولت تأخيرنا لنلّا نصل للمباني الإدارية قبل
 هربهم"

قال خالد بحدة بدوره "وما الذي سأسْتفيدة من البقاء هنا بعد رحيلهم؟ بأي منطق تتحدث يا رجل؟..
 حالي هو حالكم، كنت سجيناً لديهم، والآن أنا أواجه مصيراً كمصيركم.. لكنني أعرف ما لا تعرفونه
 عن هذا الكويكب.. إن تفرقتم في الكويكب، أو إن تمردتم ورفضتم معاونتنا، فلا تعلمون كم يوماً
 ستبقون أحياء على ظهر الكويكب"
 قال الرجل بسرعة "أنت تهذي.."

فقال خالد بصوت أعلى "هذا الكويكب غير صالح للحياة عليه.. لم يكن كذلك منذ البدء.. كل ما في
 الأمر أنكم تحقنون بعقار يمنح أجسادكم القدرة على العيش في هذا الكويكب.. ومتى ما نفذت المادة
 من أجسادكم، فالموت اختناقاً هو مصيركم الوحيد.. أهذا ما تريدونه؟"

نظر السجناء لبعضهم البعض بقلق وهو يضيف "أنا سأسعى لإخراج الجميع من هذا الكويكب.. لكن
 إن تمرد كل شخص على من حوله ورفض الانصياع لأحد فلن نتمكن من تحقيق أي شيء وسنقضي
 نحننا اختناقاً.."

قال أحد السجناء بتردد "وما الذي يمكننا فعله حقاً؟"

أجاب خالد "لديّ خطة محددة سنتمكن بها من الحفاظ على حياتنا والفرار من هنا بإذن الله.. كل ما أريده منكم هو التزام الهدوء والبقاء في المساكن دون بليلة أو مشاكل"

صاح الرجل شرس المظهر وقد ساءه أن يفقد مكانته "ومن سيسمح لك بالتحكم بنا؟"

قال خالد للجميع من حوله "هل ستطيعونه وهو لا يملك أدنى فكرة عن كيفية إنقاذكم، أم تطيعوني وأنا أعدكم أنني سأبذل جهدي لذلك؟"

تلفت السجناء ينظرون لبعضهم البعض، قبل أن يقول أحدهم "أنا أرى أن ما اقترحته علينا هو الأفضل.. أليس كذلك؟"

بدت الموافقة على وجوه الجميع وغضبهم السابق قد بدأ يهدأ، فقال خالد لهم "إذن، عودوا لمساكنكم في الوقت الحالي وخذوا قسطاً من الراحة.. ولا تقلقوا، لن أهنأ براحة حتى نخرج جميعاً من هنا"

بدا حديثه كالعادة شديد الثقة بشكل خيالي، لكن السجناء قد بدأوا تصديقه وهم يستديرون بصمت ليخرجوا من المباني الإدارية يتبعهم الرجل الشرس رغم الغيظ الواضح على وجهه..

فقال خالد لبعض الحراس من حوله "الأفضل لكم أن تكونوا معهم وتتأكدوا أن ذلك الرجل أو غيره لن يبدأ بليلة في المساكن.."

تقدم أمجد من خالد قائلاً بضيق "أرأيت ما حلّ بنا بسبب خطتك هذه؟ لقد هرب الإداريون، وتركوا السجناء يواجهون الموت اختناقاً.. فكيف يمكننا التصرف الآن؟"

قال خالد بابتسامة "ألست منفعلاً أكثر من اللازم؟ أين اختفى هدوؤك الشهير؟"

قال أمجد بحلق "ماذا ستفعل إزاء كل ما حدث؟ أخبرني قبل أن يجنّ جنوني"

ضحك خالد معلقاً "أتمنى رؤية ذلك"

وإزاء النظرة الغاضبة التي رماه بها أمجد قال بجدية "لا تقلق.. لم يحدث شيء لم أتوقعه"

نظرنا له بدهشة شديدة وأنا أقول "هل توقعت هروبهم حقاً؟"

هز رأسه مجيباً "طبعاً.. لا تنكروا أن العمل الآن مريح أكثر من السابق"

قال أدهم مقطباً "والسجناء؟ والدواء الذي فجره وليد؟"

قال خالد مبتسماً "من قال إنه فعل؟"

اتسعت أعيننا بدهشة متزايدة وهو يقول "تلك كانت خدعة.. أردت أن أعرف المدى الذي ستصل إليه صفاقتهم.. والآن مع رحيلهم، يمكننا الحركة بحرية أكبر.. لقد اتفقت مع وليد ومن كان معه على تهريب ثلثي كمية الدواء، لأن تهريبه كله لن يخفى عن أعين الإداريين.. والآن، يمكننا البدء بحقق السجناء بما نملكه من عقار.."

قال أمجد محتداً "فقط؟ هل أنت واثق أنه سيكفي الجميع؟"

قال خالد ببساطة "قطعاً لا.."

نظرنا له جميعاً بدهشة، فأضاف "لا تنسوا أن الكثير منكم قد حصلوا على الجرعة منذ وقت قريب.. الجرعة تكفي لتسعين يوماً تقريباً، ونحن سنستخدم نصفها لكل شخص، أي خمس وأربعون يوماً وهذه مدة طويلة.. لن ننتظر حتى تمر كل هذه الأيام.. سنعطي الجرعة لمن حان وقتها بالنسبة لهم، وسنعمل جاهدين للخروج من هذا الكويكب قبل أن ينقصر الدواء.. لذلك ابذلوا جهدكم في معاونتي.."

تساءل أمجد مقطباً "وماذا عن السفينة الفضائية التي غادرت؟ لا نملك وسيلة سفر غيرها ولا نملك وسيلة تواصل مع العالم الخارجي.. فكيف تنوي المغادرة؟.. أنت بتحطيمك نصف الكمية تجعلنا في موقف حرج، وفي سباق مع الزمن.."

علق أحد الحراس "ستأتي سفينة أخرى في موعدها المحدد"

علق خالد "لن نعول على هذا.. سنتصرف بدون أخذ هذا في اعتبارنا.."

لم نفهم سبب ذلك لكن لم يعترض أحدنا بكلمة، بينما التفت خالد إلى وليد ومن معه من الحراس الذين وقفوا جانباً بصمت، فسألهم "كم مضى على أول من تلقوا الجرعات الجديدة من الدواء؟"

أجاب أحد الحراس "للأسف، بعض المساكن لم يحصلوا على الجرعة المقررة لهم.. ولذلك يجب أن نبدأ بهم.. والحراس يجب أن يتلقوا الجرعة خلال يوم أو يومين فهذا هو موعد جرعتهم.."

فقال خالد "أريد حصراً سريعاً بالأوقات التي حصل فيها السجناء، والحراس، على جرعات الدواء.. يجب أن نجدول توزيع الدواء عليهم ونختار المعرضين للخطر منهم أولاً.. الدواء لن يكفي الجميع على ظهر الكويكب.."

علق وليد "أنت تعلم أننا قد نواجه مقاومة شرسة من الحراس في المساكن.. أليس كذلك؟"

قال خالد "طبعاً هذا مفهوم.. لا يعلم الجميع بأمر رحيل الإداريين بعد.. لذلك يجب أن نضعهم في الصورة.. أتملك جهاز اتصال؟"

هز وليد رأسه إيجاباً، فقال خالد "افتحه على قناة الاتصال العامة وخاطب جميع الحراس.. أخبرهم بخيانة الإداريين لهم وبسعيينا لإنقاذ الجميع من الكويكب.. اشرح لهم الوضع كاملاً ودع لهم تقرير ما سيفعلونه بعد ذلك.. وأنا واثق أن الخيار الوحيد هو في معاونتنا"

أخذ وليد جهاز اتصال من أحد الحراس، وابتعد قليلاً ليحظى بهدوء أكثر.. فبقينا ننتظره بتوتر، على الأقل هذا ما كنت عليه.. انصياح الحراس لنا ومعاونتهم ستخفف الكثير من العقبات التي تنتظرنا.. مللت من حياة الهرب هذه، ولا أريد أن أبقى في قلق من انكشاف أمرنا ليوم آخر.. بعد مدة خلناها طويلة، عاد إلينا وليد وضيق يبدو على وجهه، فسأله خالد باهتمام "ما الذي انتهت إليه مع الحراس؟"

تنهد وليد مجيباً "لم يرضخوا لنا بشكل تام.. لقد فوجئوا، وهم شكوا بأن أمراً جرى مع صمت الإدارة غير المعهود، لكنهم رفضوا تصديقي تماماً.. أخبرتهم بمخاطر اختناق السجناء، فرضي أغلبهم بالتعاون معنا حتى نحصر السجناء ونعطي الجرعة لمن يحتاجها منهم.. ولن يتعاونوا معنا بشكل كامل حتى يتأكدوا من أمر الإدارة"

فقال خالد "رائع.. هذا يكفي.."

فأضاف وليد بضيق "الأهم من كل هذا.. السجناء في أغلب المساكن قد بدأوا ثورة محدودة.. إنهم يريدون مغادرة المكان ويرفضون الانصياع للحراس.. لو تفرقوا في هذا الكويكب، فلن نستطيع جمعهم مرة أخرى والتأكد أنهم سيأخذون جرعتهم في الوقت المحدد"

غمغم خالد "هذا أمر خطير بالفعل.."

ثم نظر للحراس قائلاً "خذوني لتلك المساكن.. سأحاول التحدث مع السجناء ليبقوا في مساكنهم حفاظاً على حياتهم.. وهم سيستمعون لي كوني من السجناء ولن يرضخوا للحراس"

علق وليد "هذا سيستغرق منك وقتاً طويلاً.. تفصل المساكن عن بعضها البعض عدة ساعات.."

فقال خالد "لا بأس.. لا نملك وسيلة أخرى.. أنت قد فجرت المروحية في السابق، أتذكر؟"

واتجه للمركبة المتوقفة قريباً مع من أربعة من الحراس، فقلت لأمجد "ألن تذهب معه؟"

قال "لا.. ليس هذه المرة"

رأينا خالد يحدث وليد لفترة طالت قبل أن تغادر المركبة الموقع تاركينا في تلك البقعة الخربة التي تعبق برائحة الدخان والحريق.. ولما عاد إلينا وليد سأله أمجد "ما الذي أراده منك عمي؟"

قال متنهداً "طلب مني استرجاع العقار الذي أخفيناه سابقاً والتأكد من سلامته.. وبعدها يجب أن نذهب في مجموعات للمساكن التي سيمر بها ونقوم بحصر السجناء وإعطاء من حان وقته الجرعة المناسبة قبل أن تحدث مضاعفات نندم عليها"

وهكذا، بعد أن استعاد وليد وأحد الحراس كمية العقار الذي أخفوه في صناديق أخرى من مخازن الإدارة، التي لم يطالها أي ضرر ولم يزرع الإداريون فيها أي قنابل متفجرة، توزعنا على مركبتين إحدهما التي أتينا بها من المنجم، وأخرى ظلت سليمة في ساحة المباني الإدارية.. ركبت أنا ومعني أدهم وبسمة بالإضافة لأحد الحراس في إحداها.. ووليد مع أمجد وحارسين آخرين في مركبة أخرى.. وقد أحضر كل فريق صندوقاً من الأدوية معه مع تنبيه وليد لنا بالمحافظة عليه لندرته وأهميته.. وهكذا، انطلقنا في مهمتنا التي يعلم الله على ماذا ستنتوي..
